الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

ثنائية المدح والذم في شعر جرير

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبات:

* سمية هنوس
* وسام قعسيس

إشراف الأستاذة

د. هاجر بكاكرية

2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفـان

الحمد الله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات

ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة **هاجر بكاكرية** التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث .

ولا يفوتنا أن نشكر كل الأساتذة قسم اللغة والأدب العربي

إ هـد ا ء

الحمد الله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد :

الحمد الله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة

جهد والنجاح بفضله تعالى مهداة الى من نزلت في حقهما الآيتين الكريمة قال تعالى: ﴿وَقضَى رَبُّكَ أَلَا تعَبدُوا إِلاّ إياه وَبِالوالْدينِ إِحساناً إِمّا يبْلُغنَّ عندك الْكبِرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُما أُفٍّ ولا تنْهرهُما وقُلْ لَهُمَا قولاً كريماً(23) واخْفضْ لهُما جَناَح الذُّلِّ مِنَ الرِّحْمة وقُلْ ربِّ ارحمهُما كَمَا رَبَّياني صغيرًا(24) ﴾ الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نورا لدربي

إلى من ساعدني في صعاب الحياة "اخي مراد"

لكل العائلة الكريمة التي ساندتني ولا تزال من عمي وزوجة عمي الى شقائق النعمان ومنبت الامان إخوتي وأولاد عمي الى نسائم الروح و العين أخوتي وبنات عمي .

إلى رفيقتي في هذا المشوار والتي قاسمتني كل لحظات التعب والفرح سمية .

إلى كل أصدقائي رعاهم الله روميسا ،سعيدة ،وفاء ،سليمة والى كل زميلات في مشواري الدراسي والجامعي.

الى من يذكره قلبي ولم يكتبه قلمي .

إ هـد ا ء

اللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم.

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى:

معلم البشرية المنزل عليه الوحي بأول كلمة "إقرأ"، الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

-من تعجز عن وصفها الكلمات، لأن لها في القلب بصمات، بر الأمان ومنبع الحنان إليك أمي الغالية.

-من عانى المشقة من أجل تربيتي وتعليمي، فأنار لي الطريق بنور العقل وسبيل العلم إليك أبي الغالي .

-كل من قاسمني حلاوة العيش ومررتها إخواني واخواتي رعاكم الله كل واحد باسمه.

-كل الأصدقاء حفظهم الرحمان : إيمان نجاة هاجر وفاء سليمة .

-من قاسمتني عناء هذا البحث وكانت خير الأحباب "وسام".

إلى كل من يسكن قلبي ولم يذكره قلمي من قريب أو بعيد .

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي هده.

سمية

مقدمة

مقدمة:

سار الشعر العربي في العصر الأموي إلى النظم في أغراض تقليدية، لاسيما المدح والهجاء فقد شكلا ظاهرة فنية مهمة في الديوان الشعري العربي، إذ شهدت قصيدة المدح والهجاء تطورا ملحوظا في هذا العصر، ومن الشعراء الذين اهتموا بذلك الشاعر جرير الذي يعد من شعراء المثلث الأموي وهو الذي شُبّه في شعره ومدائحه بالشعراء الجاهليين.

وقد طرحنا إشكالية مفادها كيف تجسدت ثنائية المدح والذم(الهجاء) في شعر جرير؟ لتتفرع عنها الأسئلة الآتية:

1_ما مدى ظهور كل غرض أو فن عند جرير و أيّهما طغى على الأخر؟

2_كيف أثرت القصيدة الجاهلية في شعر جرير؟

ومن اسباب اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم ب: (ثنائية المدح والذم عند جرير) الرغبة في التعرف على العصر الأموي وعوامل ازدهار الشعر فيه وخاصة عند الشاعر جرير الذي برز في النقائض مع صاحبيه الفرزدق والأخطل، ومعرفة السبب وراء المدح والهجاء.

وقد سُبق بحثنا بدراسات تناولت جوانب مختلفة نذكر منها: رسالة الدكتوراه للؤي موفق الحاج علي: بعنوان صورة المهجو في شعر النقائض، عبد المنعم الخفاجي: الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي.

واعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

1_ديوان جرير الذي اخترنا منه النمادج الشعرية.

2_شوقي ضيف: التطور والتجديد في العصر الأموي.

3_ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي وغيرهم.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الموضوعاتي والمنهج التاريخي.

ولمعالجة هذا الموضوع قسمنا بحثنا إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، ففي الفصل الأول تحدثنا عن نشأة الدولة الأموية والحياة الأدبية والسياسية، والتعريف بفن النقائض ونشأتها والتمثيل بنموذج لامية جرير والفرزدق.

أما في الفصل الثاني، فاخترنا نمادج من قصائد جرير في مدح خلفاء وولاة بني أمية وفي الهجاء اخترنا هجاءه للشعراء أمثال الأخطل والفرزدق.

والخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

ومن الطبيعي أن تواجهنا بعض الصعوبات في بحثنا أهمها تشعب الموضوع وقلة خبرتنا في الإلمام بالمادة العلمية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر أستاذتنا المشرفة الدكتورة هاجر بكاكرية التي بدلت جهدا كبيرا في تقويم هذا البحث من خلال ملاحظاتها القيمة التي ساهمت في إخراجها على صورته الحالية فلها منا كل عبارات الشكر و التقدير.

الفصل الأول

1/ نشأة الدولة الأموية (41 هـ-132 م)(662 هـ-750 م)

قامت الدولة الأموية بعد انتهاء حكم الخلفاء الراشدين باستشهاد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب "رضي الله عنه"، فبويع معاوية بن أبي سفيان بالخلافة سنة(41 هـ) وهو أحد أفراد البيت الأموي وكان قبل تسلمه قيادة الخلافة الإسلامية واليا على بلاد الشام منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتسمى هذه المدة من تاريخ الدولة العربية الإسلامية بالعصر الأموي، نظرا لتسلم الأمويين العرب قيادة الدولة من سنة (41 هـ-132م) وأدخلوا مبدءًا جديدًا في النظام السياسي للخلافة الإسلامية وهو مبدأ الوراثة في الحكم« و خلف معاوية ابنه يزيد و لم يكن في الدهاء السياسي كأبيه، فكانت في أيامه مأساة كربلاء (10 محرم 61 هـ: 1-10-680 م) ومقتل الحسين بن علي ثم كانت في أيامه وقعة الحرة وغزو المدينة المنورة في ذي الحجة من سنة 63 هـ (أغسطس 682 م) فكثر الأعداء للأمويين في العراق و في الحجاز»[1]

حكم الدولة الأموية ثلاثة عشر خليفة و منهم:

1_«معاوية بن أبي سفيان (41 -60 هـ)

2_ يزيد بن معاوية(60- 64 هـ)

3_ معاوية بن يزيد(64- 64 هـ)

4_ مروان بن حكم(64- 65 هـ)

5_ عبد الملك بن مروان(65- 86 هـ) »[2].

لقد اتخذ الأمويون مدينة دمشق عاصمة للخلافة الأموية وقبل ذلك كانت المدينة المنورة هي العاصمة، توسعت رقعة هذه الدولة الإسلامية لتمتد من أطراف الصين شرقا حتى

---

[1]- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي, ج 1, دار العلم للملاين ,بيروت, ط 4, 1981, ص 351 .

[2]- محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي, دار الجيل, بيروت, د ط, 1990, ص 4.

جنوب فرنسا غربا وتمكنت من فتح إفريقيا والمغرب والأندلس وجنوب الغال وما وراء النهر هذا الاتساع رافقه بناء الخلفاء الأمويين للمساجد والقصور والمنتزهات، مما أدى إلى توسع العمران وازدهار حضارتهم فأصبحت الدولة الأموية مدينة للثقافة في العالم الإسلامي، وهذا التطور الذي ظهر في الدولة الأموية لم يكن حصرا على مجال واحد بل مجالات مختلفة يهمنا منها الجانب الأدبي فبالإضافة إلى اتساع المد السياسي ظهرت أحزاب كثيرة تنازعت على الخلافة فكان لكل حزب شعراء ينصرونه ويدافعون عن مبادئه.

2 / الحياة الأدبية في عصر بني أمية:

بدأ العصر الأموي بعد تنازل الحسين بن علي عن حقه في الخلافة تفاديا للحروب والفتن ومع العصر الأموي بدأ الأدب يتطور ويزدهر ومن أسباب تطوره نقاط عدة أهمها الحركة الثقافية التي كانت تمزج بين ثقافات مختلفة إسلامية وجاهلية، هذا التمازج ساعد الأدب في النضوج وقد« ولقى الأدب عامة والشعر خاصة عناية من المجتمع العربي الذي كان في ذلك الحين يحل بالأدب والشعر منه منزلة رفيعة، ولقى نفس العناية كذلك من المغنين، كما لقى عناية فائقة من الشعراء الذين أقبلوا على تهذيبه و تجويده»[1] اعتنى العرب بالنثر والشعر خاصة وجعلوه ضمن أولوياتهم فاهتموا به ونقحوه وتنافسوا فيما بينهم على كتابة أجود الشعر وساعدهم في ذلك خلفاء بني أمية لدعمهم للشعراء والأدباء فجاء الشعر في هذا العصر متأثرا بعدة مؤثرات ساهمت في رقيِّه وازدهاره وتطوره:

2_1 الإسلام:

أثر الإسلام في تطور الشعر العربي« طبيعي أن يؤثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي، وهو تأثير يقوى و يضعف حسب نفسية الشعراء، إذْ كان بينهم من تعمَّقه الإسلام ومن لم يتغلغل إلى أعماقه. على أنهم جميعا كانوا يستظلون بظلاله»[2]

وقد انعكس ذلك في أعمالهم الأدبية يقول طه حسين« إن في الشعر العربي لهذا العصر كنوزا خليقة أن تكشف وأن تدرس على وجهها ولكن كثير من الناس لا يعلمون»[3]

أكد طه حسين على أن الشعر في هذه الفترة عرف تطورا وازدهارا لكن فئة قليلة من الناس انتبهت له فالشعر الأموي نشأ ونظم في بيئة جديدة.

---

[1]- محمد عبد المنعم الخفاجي: الأدب العربي في العصرين الأموي و العباسي, ص 78.

[2]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف, مصر, ط 7, د ت, ص 176.

[3]- طه حسين: حديث الأربعاء, مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة, مصر, د ط, 1925, ص 159.

2_2 العصبية القبلية:

قضى الإسلام على العصبية القبلية وجعل الولاء لله عز وجل وللرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بدأت بوادر العصبية القبلية بالظهور وتفاقمت مع الحكم الأموي حيث قصدوا إبعاد الناس عن الحكم والسياسة وانشغالهم بمثل هذه الأمور« وأضحى الشعر في هذا العصر ينحو ويخوض في موضوعين كبيرين هما:

الخصومة السياسية التي أشعلت بين الخوارج من جانب والأمويين من جانبِ آخر

والخصومة القبلية بين العدنانيين والقحطانيين بين بطون القبائل وشعوبها»[1] مع هذه الحالة التي آل إليها أغلب الشعر الأموي أصبحت مواضيعه تدور حول خصومة الأحزاب السياسية والدينية العصبية القبلية.

2_3 اهتمام الأمراء والحكام بالأدب والأدباء:

وجد الأدباء اهتماما وعناية من قبل الأمراء والخلفاء هذا الاهتمام ولد لديهم روح التنافس الشعري فكثرت كتابة الشعر والإجادة فيه« وأكثر الخلفاء الأمويين شغفا بالأدب والشعر ثلاثة: معاوية وعبد الملك وهشام، حكم كل منهم أكثر من عشرين سنة وكانت لهم عناية بالأدباء وخصوصا عبد الملك بن مروان.»[2]

تسابق الشعراء لمدح و إرضاء الخلفاء والأمراء وفي المقابل يمنحهم الخلفاء عطايا ومكانة تزيد من تباريهم الشعري.

ورغم التغيرات التي طرأت على الحياة العربية إلا أن الأدب الأموي والشعر خاصة بقي محافظا على مكانته ينشد في دمشق كما ينشد في الصحراء فلم تظهر في هذا العصر فنون شعرية جديدة وإنما ازدهر بعضها كالسياسة والفخر والهجاء، وخفت أخرى نحو الرثاء والغزل واتخذ الهجاء شكلا جديدا خاصة عند شعراء النقائض جرير والفرزدق والأخطل.

---

[1]- زكريا عبد المجيد النوتي: الأدب الأموي تاريخه و قضاياه, مطبعة الحسين الإسلامية, مصر, ط1, 1993, ص 41.

[2]- المرجع نفسه, ص 39.

3/ الحياة السياسية في العصر الأموي:

لعبت السياسة دورا بارزا في جميع الفنون وعلوم العصر الأموي ولم تكن الحياة في هذا العصر حياة هادئة بل كانت مضطربة حيث تصارعت فيه احزاب مختلفة وتعددت الفرق واختلفت فيها الآراء بين أمويين وعلويين وشيعة وخوارج وغيرهم« وقد تألفت هذه الأحزاب حول فكرة الإمامة أو الخلافة ومن أحق بها من المسلمين»[1] وقد نقل معاوية الحكم الإسلامي من خلافة شورية إلى خلافة وراثية، وقد اعتنى الأمويون بالطبيعة والثقافة العربية وذلك بتعليم أبنائهم الشعر والأدب واللغة في البادية لإكسابهم الملكة والفطرة، وقد عُرف الحكم الأموي بالعصبية« عصبية العرب على الموالى والعجم، وعصبية اليمنية على القيسية ولبني أمية على بني الهاشم»[2].

3_1 الشيعة:

وهم أنصار علي بن أبي طالب الذين خرجوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم يطالبون بحقهم في الخلافة.

يقول أحمد أمين« كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه، وأولى أهل البيت العباسي عم النبي وعلي ابن عمه».[3]

بعد تولي علي الخلافة انتقل إلى الكوفة وجعلها عاصمة له وتبعه كثير من العراقيين لاعتقادهم أن عليا أولى بالخلافة من معاوية لصلته بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد أثّر مقتل الحسين بن علي في موقعة كربلاء على تاريخ الشيعة فقد زاد من نار التشيع في نفوسهم والحقد على الأمويين والحث على توحيد صفوفهم.

---

[1]- شوقي ضيف: التطور و التجديد في الشعر الأموي, دار المعارف, القاهرة, ط 8, د ت, ص 85.

[2]- زكرياء عبد المجيد النوتي: الأدب الأموي تاريخه و قضاياه, ص 11.

[3]- أحمد أمين: فجر الإسلام, مؤسسة الهنداوي لتعليم و الثقافة, القاهرة, د ط, د ت, ص 287.

ومن أهم مبادئ الشيعة الإمامة وأنها من حقوق البيت النبوي وهي وصية من وصايا الرسول صلى الله عليه و سلم« ومن هنا تأتي عقيدة الوصية التي يدين بها الشيعة جميعا كما يدينون بأن أئمتهم يمتازون بصفات روحية كثيرة فهم معصومون، وعندهم من العلم كل ما يحتاج إليه الناس في دينهم ودنياهم.»[1]

تعددت الفرق الناظمة للشعر في حزب الشيعة ومن بينهم نجد: فرقة الكيسانية المختار الثقفي في العراق وفرقة الزيدية تنسب إلى زيد بن علي.

إذا عرضنا لشعر من أشعارهم نجدهم يمجدون أئمتهم الذين قتلوا على يد الأمويين ويرثون الحسين وزيد بن علي وابنه يحي وهو أهم ما ميز الشعر في هذه الفترة، ومن ذلك قول سليمان بن القشة في رثاء الحسين:

« مررتُ على أبيات آل محمَّد فلم أرها كعهدها يوم حُلْت

وكانوا رجاءً ثم صارواَ رزية وقد عظمتْ تلك الرزاياَ وجَلَّت

ألم تر أن الشمس أضحتْ مريضة لفَقْد حُسَيْن و البلادَ اقشعرت

وقد أعولتْ تبكى السماءُ لفقدهِ وأنجُمها ناحتْ عليه و صلَّت»[2]

إن المتأمل لهذه الأبيات يجد فيها دافع الانتقام والأخذ بالثأر من الذين ألحقوا بهم الأذى وأدى هذا إلى سفك الدماء حتى يغسل الشيعة عار القعود عن نصره.

3_2 الزبيريون:

نشأ هذا الحزب سنة 63 هـ وهم أنصار الزبير بن العوام رضي الله عنه، فبعد مقتل الحسين بن علي بقيت مكة لابن الزبير، وكان قوي الشخصية تقيا شارك في فتوح إفريقيا وسرعان ما انضمت تحت لوائه قيس في الشام والجزيرة وتبعه العراق ومصر.

[1]- شوقي ضيف: التطور و التجديد, ص 92.

[2]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي, ص 316.

يرى أصحاب هذا الاتجاه وعلى رأسهم الزبير بن العوام أنه أولى بالحكم وذلك لقربه من النبي صلى الله عليه و سلم ولأن أمه صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم« و بقتل عبد الله بن الزبير ينتهي هذا الحزب الذي استمر نحو ثماني سنوات، وهي مدة قليلة لا تكفي لتكوين نظرية سياسية وبعبارة أدق لم تتكون في أثنائها نظرية سياسية واضحة المعالم ولذلك كان هذا الحزب أضعف الأحزاب في هذا العصر من حيث تمثيل فكرته عند الشعراء»[1]

يؤكد شوقي ضيف ضعف هذا الحزب بسبب قصر مدته إضافة إلى مقتل زعيم هذا الحزب عبد الله بن الزبير مما أدى إلى زواله.

أظهرت هذه المدة القصيرة بعض الأشعار« وهو ليس شعر حزب بالمعنى المفهوم وإنما هو هجاء وحماسة على نحو ما كان الشعر في العصر الجاهلي»[2] وأبرز شعراء هذا الحزب الشاعر ابن قيس الرقيات الذي كان شعره ممزوج بين مدح وغزل ورثاء نحو قوله وهو يرثي من ماتوا من أهله:

« إنَ الحوادثَ بالمدينة قد أَوْجَعَنْي وَقَر عن مَرْوَتيهْ
ينْعَى بنو عَبْد و إخوتهم حلَّ الهلاك على أَقاربيَه
ونَعى أَسامةُ لى و إخوته فظللتْ مُسْتكًا مَسامعيه
تبكى لهم أسماء مُعْولةً وتقول ليلى: وارَزيَّتيهْ»[3]

تلقى قيس ابن الرقيات خبر وفاة أسامة و سعد ابنا أخيه إذ قتلوا من قبل الأمويين فجاء خبرهم كالعاصفة هزته فجعلته غاضبا ثائرا على يزيد و بني أمية.

[1]- شوقي ضيف: التطور و التجديد, ص 86.

[2]- المرجع نفسه, ص 86.

[3]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الإسلامي, ص 294, 295.عن ديوان ابن قيس الرقيات.

3_3 فرقة الخوارج:

استشهد عثمان بن عفان فبايع جمهور المسلمين الإمام علي بن أبي طالب ورفض المبايعة والي الشام معاوية بن أبي سفيان من هنا بدأ الخلاف، فكانت موقعة الجمل سنة 35 هـ ثم تلتها موقعة صفين 36 هـ، نادى أتباع معاوية بالتحكيم مع رفع المصاحف على ألسنة الرماح غير أن الإمام علي لم يرض بهذا الطلب فاختلف أنصاره بين قابل ورافض للتحكيم فتشاتموا وتضاربوا وأصبحت تلك المجموعات مصرة على التحكيم فخرجوا على الإمام علي كرم الله وجهه ولم يدخلوا معه الكوفة وذهبوا إلى منطقة حروراء و ينادوا بأن الأمر شورى، قالوا لا حكم إلا الله و سموا بالمحكمة على هذا الأساس و بالخوارج لخروجهم عن علي و غيرها من الأسماء، ولقد كفروا علي وعثمان رضى الله عنهما واستباحوا قتل كل من ينضم لم إليهم ومن أهم رجالهم(نافع بن الأزرق وقطري بن الفجاءة ولقد انقسموا إلى فرق لاختلاف أرائهم« لو أن الخوارج كانوا كتلة واحدة لكانوا في منتهى الخطورة على الدولة الأموية»[1]

شَّكَلَ كل واحد منهم فرقة خاصة به منها الأزارقة وهم أتباع نافع بن الأزرق وهم أكثر الخوراج عددا والنجدات بقيادة بن عامر الحنفي والصفراوية اتباع زياد بن الأصفر والإباضية عبد الله بن أباض التميمي هذا الصراع الذي نشب بسبب الخلافة أدى إلى التخاصم بين الأمويين ومعارضيهم من الأحزاب فظهر تيار شعري يضم مبادئ كل فرقة وقد كان للشعراء دورا بارزا في تحميس الخوارج للقتال والموت في سبيل مبادئهم، يقول إحسان عباس« هذا لون من الشعر زهدي ثوري جامح يُكَبرُ الإنسان الخارجي إكباراً شديداً، لأن كل إنسان ذهب في سبيل العقيدة يعد شهيداً فهو المثل الأعلى في نظر أصحابه بعد استشهاده و هو الذي يستحق الرثاء و البكاء».[2]

[1]- زكرياء عبد المجيد النوتي: الأدب الأموي تاريخه و قضاياه, ص 20.

[2]- إحسان عباس: شعراء الخوارج, دار الثقافة, بيروت, د ط, د ت, ص 9.

يؤكد إحسان عباس من خلال هذا القول على أن شعر الخوارج يغلب عليه الرثاء والزهد والحماس تحركهم عصبية جديدة وإيديولوجية سياسية ترفع من الدين، ومن أهم شعرائهم قطري بن الفجاءة والطرماح بن الحكيم ويعتبر عمران بن حطان أحد أهم شعراء هذا الاتجاه ولم يصل إلينا من شعره سوى مقطوعات و هي تمثل في أغلبها مواقف خاصة عاشها فجاءت معبرة عن حياته في صور و أفكار متسلسلة في اللغة و التصديق في الشعور.[1]

يقول عمران بن حطان:[2]

لا يَركنن أَحَدْ الإِحجامِ يَومَ الوَغى متُخَوّفاً لِحَمامِ

فَلَقَدَ أراني لِلرَمَّاح درَيئَةً مِن عَنِ يمَيني تارة و أَمامي

حَتّى خصَبتَ بِما تحدَّر من دمي اَكنافَ سرجي أَو عَنانَ لِجامي

في هذه الأبيات عمران يحبب للناس القتال و يعتز بنفسه و شجاعته و فروسيته و قوله للشعر و تمسكه بعقيدته.

كان لقيام الأحزاب السياسية أثر كبير في حياة الدولة الأموية من خلال شعرائها الذين تأثروا بهذه الحياة الثائرة و أثروا فيها، فقد ساعدوا على إحياء العصبيات القبلية وكثرت الخلافات والحروب والخصوم فلكل حزب شعراؤه الذين ينتصرون له ويدافعون عنه، لأن الشعر سلاح يواجه به كل فريق خصمه مما أدى إلى ظهور الشعر السياسي و عودة الهجاء وازدهار فن المدح والحماس والرثاء، قد أثمر ذلك كله نهضة الشعر وتميزه في هذا العصر.

[1]- ينظر: صباح نوري المرزوك: الأدب الأموي, دار الرضوان, عمان, ط1, 2015, ص 111.

[2]- إحسان عباس: شعراء الخوارج, ص 18.

4 / النقائض

4_1 تعريف النقائض:

النقائض لون من ألوان الهجاء والتحدي بين شاعرين، يبدأ الشاعر الأول بهجاء شاعر آخر و يفاخره بقصيدة على وزن وقافية خاصة، فيرد ذلك بقصيدة أخرى على نفس الوزن والقافية مع التنافس في المعاني وقد تميز هذا اللون في عصر بني أمية على ألسنة أشهر شعرائهم(الأخطل وجرير والفرزدق) الذي يعتبر شعرهم وثيقة تاريخية للحوادث التي سادت هذا العصر.

يعرفها مجدي وهبة فيقول« النقائض في الأدب العربي قصائد كان ينظمها الشعراء في الفخر بقبائلهم والحطّ من شأن القبائل المعادية لهم. فقد كان الشاعر ينظم القصيدة في تمجيد قبيلته، ويعرض فيها بخصومها من القبائل، فينبري للرد عليه شاعر من الخصوم بقصيدة على نفس الوزن والرَّويّ».[1]

أي يكتب الشاعر قصيدة يفخر بنفسه و قبيلته و يهجو شاعر آخر و يحط من قبيلته فيرد عليه شاعر من الخصوم بنقيضة على نفس الوزن والقافية مع قلب فخر خصمه هجاء و ينسب الفخر إلى نفسه.

إن النقائض فن جديد ظهر في العصر الأموي و ذلك نتيجة الاختلافات الحزبية والسياسية(المذهبية) و بسبب الصراع على الخلافة يعد أيضا تطوراً لفن الهجاء الذي كان سائداً في العصر الجاهلي بين الشعراء والقبائل.

يقول عبد المنعم خفاجي« والنقائض في العصر الأموي فن سياسي و أدبي جديد نشأ بتأثير الحاجة إليه في شؤون السياسة و العصبية و الأدب فالجانب السياسي و الأدبي منه جديد كل الجدة، أما الجانب القبلي الاجتماعي فهو تطور للجدال القبلي الجاهلي»[2]

---

[1]- مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب, مكتبة لبنان, بيروت, ط 1, 1984, ص 416.

[2]- عبد المنعم خفاجي: الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي, ص 153.

ويرى النقاد أن أفضل النقائض التي تكون طويلة يعتز الشاعر فيها بنفسه وشجاعته وكرمه وقومه ويعدد الحروب التي انتصروا فيها ويدافع عن الأعراض والأموال.

يبدأ الشاعر النقيضة بغرض الرحلة والنسيب(المقدمات الطللية) أو بالولوج إلى الفخر والهجاء من البداية« القصيدة الطويلة _في الأغلب_ قد يبدؤها الشاعر بالمطالع العاطفية ووصف الرحلة كالمألوف، و قد يقتحم الفخر و الهجاء مند البداية»[1]

ويتخللها كلام فاحش وتعرض للعيوب الخُلقيَة مثل البخل والجبن والزنا دون العيوب الجسدية لحرصهم على مبادئ الدين الإسلامي، كما يشترط فيها وحدة البحر الذي يشكل الموسيقى التي تجمع بين النقيضتين و وحدة الرّويّ و نمثل بنموذج لامية الفرزدق و جرير يقول الفرزدق:[2]

إنَّ الَذَي سَمَكَ السمّاءَ بنَى لنَا بَيْتاً دَعائَمهُ أَعزَّ وَ أَطْوَلُ

بَيْتاً بَناه لَناَ المَليكُ وَ مَا بنى حَكَمُ السّمَاء فإنَّهُ لاُ يْنقَلُ

يفخر في هذه الأبيات الفرزدق بنفسه وعزة قبيلته ومجد آبائه ويُدِل جريراً وقبيلته وقد رد عليه جرير في أبيات بنفس الصياغة على نفس الوزن و البحر فيقول:[3]

أَخزَى اَلذَي سَمكَ الَسماء مُخاَشعاً وَبنَى بنائَكَ في الْحضَيض الأْسفلَ

بُيْتاً يجهمُ قَيْنُكم بِفنائه دَنساً مقاعدّه خَبيث الَمَدخْل

من خلال هذه التعريفات يتبين أن شعر النقائض هو قصائد الهجاء المتبادلة بين شعراء بني أمية(جرير والفرزدق والأخطل...) ويمكن القول أنها تطور لفن الهجاء الذي كان في العصر الجاهلي.

---

[1]- عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي و الأموي, دار النهضة العربية, بيروت, د ط, 1987, ص 353.

[2]- علي فاعور: ديوان الفرزدق, دار الكتب العامة, بيروت, ط 1, 1987, ص 489.

[3]- محمد اسماعيل الصاوي: شرح ديوان جرير, مطبعة الصاوي, مصر, ط 1, د ت, ص 444.

4_2 نشأة النقائض:

نشأ شعر النقائض مع نشأة الخلافات والخصومات بين الشعراء في عصر بني أمية، فقد كانت تسمى حينا بالمنافرة وأخرى بالملاحاة وما إلى ذلك من أشكال النفار، ففي البداية نجدها لا تلتزم إلا بنقض المعنى ثم صارت تلتزم ببعض الفنون العامة، والنقائض كأي فن من الفنون نشأت ضعيفة مختلطة إلا أنها أخذت تكتمل وتنضج فاتخذت صورتها النهائية في عصر بني أمية والتي عرفت بشكلها التام، وسميت بالنقائض نقائض فحول شعراء العصر الأموي وهم:(جرير والفرزدق والأخطل) زادت هذه النقائض من حدة الخلاف والنزاع الحزبي القبلي بين الأطراف المتنازعة، حيث ذهب الشعراء في البحث عن مثالب بعضهم البعض يقول شوقي ضيف: « من أجل ذلك كنا نزعم أن الهجاء تحول عند الشعراء الثلاثة إلى فن جديد أو لون جديد، ولابأس أن نسمي هذا اللون باسم النقائض... أما الهجاء الذي سبقهم فلا نسميه نقائض إلا على ضرب من التَّجوزْ أو على أنه كان بذورا لهذا اللون الجديد الذي نقرأه عند الأخطل والفرزدق وجرير»[1] .

يؤكد شوقي ضيف أن فن النقائض نضج و اكتمل في العصر الأموي و خالفا الرأي الذي يقول بأنها نوع من الهجاء الذي كان في العصر الجاهلي بل هي فن جديد ظهر مع الشعراء الثلاثة(جرير و الفرزدق و الأخطل) « وقد وصل إليهم بعد أن مر بعدة مراحل وصل فيها التطور حتى صار إلى قمته عندهم فاشتهروا به و صار لصيقا بهم»[2].

ما يرى النقاد أنه من النقائض في الجاهلية وصدر الإسلام يختلف وفي العصر الأموي، ففي العصر الجاهلي كان الشاعر لا يكلف نفسه مشقة الغوص في المعاني والبحث عن المثالب القبلية أما في العصر الأموي فظهرت بوجه جديد مختلف« حينما نتقدم إلى

---

[1]- شوقي ضيف: التطور و التجديد في الشعر الأموي, ص 165 _166.

[2]- زكرياء عبد المجيد النوتي: الأدب الأموي تاريخه و قضاياه, ص 90.

العصر الأموي لنتبين الجوانب التي لابست النقائض وكانت بيئاتها العامة، ومقوماتها العتيدة، نجدها جوانب شتى: سياسية و اجتماعية و اقتصادية و شخصية وفنية و غيرها»[1]

هذا الفن ورغم وجود خلفيات له في العصر الجاهلي والإسلامي إلا أنه اكتمل ونضج في العصر الأموي، وساعدت في ذلك عدة جوانب أهمها: سياسية بسبب الخلافة ونزاعاتها ولذلك أصبح كل شاعر ينقض القبيلة الأخرى ويذكر مثالبها ويمدح قبيلته دون أن ننسى الجانب الاقتصادي.

وخلاصة القول أن الدولة الأموية استطاعت أن تجمع لنفسها طائفة من الشعراء يتغنون بحضاراتها وأمرائها وعرفوا أنهم اصحاب مواهب شعرية، فقدموا صورا شعرية أصيلة في بعض قصائدهم الطويلة أو بعض المقطوعات المفردة، فتحدثوا عن الأنساب والأيام والأجداد في صور المديح والهجاء تعقبنا على ماحدث في ظل الدولة الأموية من حوادث غيرت وجه الحياة المعتادة.

إن نظم الشعراء لهذه النقائض ولد التنافس بينهم بالإضافة إلى أن هناك أبعادا سياسية إيديولوجية جعلت كل شاعر يثبت نفسه، فالمتفوق يصبح الصحيفة المؤجرة لهذه القبيلة والمدافع عنها يمدحها وهجاء خصومها، في المقابل يتلقى الشاعر العطايا والهدايا.

[1]- أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي, مكتبة النهضة, القاهرة, ط 2, 1954, ص 177.

الفصل الثاني

يعتبر المدح غرض من أغراض الشعر العربي فهو« يقوم على فن الثناء، وتعداد مناقب الإنسان الحّي، و إظهار آلائه، و إشاعة محامده و فعاله التي خلقها الله فيه بالفطرة، والتي اكتسبها اكتسابا، والتي يتوهّمها الشاعر فيه.»[1]

والمدح في بداياته الأولى كان بدافع الإعجاب بالأشخاص« كإعجاب زهير بن أبي سلمى بالحارث ابن عوف وهرم بن سنان اللذين أصلحا بين عبس وذبيان وحقنا دماء غطفان، فكانا جديرين بالإعجاب ثم بالمدح»[2] ثم بالإعجاب بالقوم« كإعجاب امرئ القيس ببني تيم وبسعد بن الضباب. قال ابن رشيق: وكانت العرب لا تتكسب بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد، لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاما لها كما قال امرؤ القيس بن حجر يمدح بني تيم رهط المعلى:

أقرَّ حشا امرئ القيسِ بن حُجْر بنو تَيْمٍ مصابيح الظّلامِ»[3]

إن التطور الذي مس مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية في العصر الأموي أدى إلى دوافع المدح وشيوعه منه التكسبي والسياسي، وقد اتخذ الكثير من الشعراء هذا الغرض وسيلة للتكسب فمدحوا الخلفاء والأمراء والحكام ومن أبرز الشعراء الذين ظهروا في تلك الفترة وعرفوا بشعراء النقائض(الأخطل وجرير والفرزدق) وتنوعوا في أشعارهم من مدح شخصي إلى جماعي.

1_1 مدح الخلفاء:

يحتل مدح خلفاء بني أمية قسما كبيرا من موضوعات المديح في العصر الأموي و يتوقف المديح كثرة أو قلة على الفترة التي عاشها الخليفة طولا أو قصرا و عما عرف عنه من عدل

[1]- غازي طليمات عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي, قضاياه أغراضه أعلامه فنونه, دار الرشاد, حمص, ط 1, 1992, ص 160.

[2]- نفس المرجع, ص 160.

[3]- نفس المرجع, ص 160.

وحزم وسخاء وعدد الفتوحات التي أنجزها، هذه الانتصارات هي التي أنطقت ألسنة الشعراء وجعلتها تلهج بالثناء والمدح.

أ _ في مدح عبد الملك بن مروان:

يقول جرير في مدح الخليفة عبد الملك بن مروان في قصيدة مطلعها:[1]

أَوَاصِلٌ أَنْتَ أُمَّ العُمْرِ أَمْ تَدَعُ أَمْ تَقْطَعُ الحَبْلَ مِنْهُمْ مثَّل مَا قُطِعوُا

تَمَتْ جَمَالاً وَ ديناً لَيْسَ يَقْرَبُهَا قَسٌّ النَصَرى وَ لاَ منْ هَمَّهَا البَيْعُ

مَن زَائِرٌ زَارَ لَمْ تُرجِعْ تَحِيَّتُهُ مَاذَا الذَّي ضَرَّهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا

يستهل جرير قصيدته(أنت الأمين أمين الله) بالغزل الذي يذكر فيه صفات المرأة الجميلة وآم عمرو بنت الحارث بن بدر الغداني" الذي تغزل بها لجمالها و دينها ثم خلص إلى المدح بطريقة بارعة فيقول:[2]

لَوْلاَ الَخليفَةُ و القُرآنُ يَقْرَأُه مَا قَامَ للنَّاسِ أَحْكَامٌ وَ لاَ جُمَعُ

أَنْتَ الأَمِينُ، أَمينُ الله، لاَ سَرفٌ فَيمَا وَلَيْتَ، وَ لاَ هَيابَةٌ وَرَعٌ

مِثْلُ المهَّندِ لَمْ تُبْهَر ضَرِيبَتُه لَمْ يَغْشَ غَرْيبَهِ تَفْلِيلٌ وَ لاَ طَبعُ

يتخير جرير في قصيدته لنا أجمل الصور والمعاني التي وصفت الخليفة عبد الملك بن مروان بأبهى الخصال الدالة على الجود والسخاء، ويبالغ في قوله بأنه لولا وجود عبد الملك وقراءته للقرآن لتوقفت الحياة ولا عاش للعباد وتفشي الظلم فقد وصفه بأمين الله معتدل الأحكام كما وصفه بالسيف المهند ضربته قاطعة وحادة، وكدا كان في أمور الحكم والخلافة يضرب الباطل ويحد من الظلم.

[1]- ديوان جرير, دار بيروت, بيروت, د ط, 1986, ص 277.

[2]- المصدر نفسه , ص 278.

وقد استعمل جرير ألفاظا دينية انتقاها من القرآن الكريم وصف به عبد الملك بن مروان لظهر ورعه وتقواه وتربيته الدينية« وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء ، الملازمين للمسجد التالين للقرآن...»[1]

يرى الشاعر في شخصية عبد الملك بن مروان عمادًا للدين فأظهره بوازع ديني فهو إمام للمسلمين وهذا أمده وجعله اهلا وحقيقا بالخلافة والحكم بالإضافة إلى قوله" أنت الأمين أمين الله..." هنا يخاطب جرير عبد الملك بن مروان مفردًا له المكانة والشموخ الذي حققه نسبه العريق، فقد كان محبوبا مرغوبا من عمومه كبار بني أمية يكمل جرير مدحه فيصفه "بالمهند" للدلالة على شجاعته ودهائه السياسي في قيادة الجيوش وقهر العدو وبين هذا الوصف مهارته في تدبير أمور الدولة، ثم ينتقل في قصيدته فيقول:[2]

أَنْتَ المُبَارُكُ يَهْدِي الله شيعتَهُ إذا تَفَرّقَتِ الأَهْوَاءُ و الشيَعُ

يَا آل مَرْوَانَ! إنَّ الله فَضّلَكُمْ فَضْلاً عَظيماً عَلى مَنْ دِينَهُ البِدَعُ

مَا كَانَ دُوَنِكَ مَنْ مَقْضى لِحَاجتنا وَلاَ وَرَاءَكَ لِلْحَاجَاتِ مُطَّلَعُ

إنَّ البَرَّية تَرْضى مَا رضَيْتَ لهَا إنْ سِرْتَ سَارُوا وَ إنْ قُلْتَ أرْبَعُوا رَبَعوُا

يصف جرير عبد الملك بن مروان بالمبارك المطاع في شيعته وأن الله فضل آل مروان على سائر الأنساب وبالتالي سهل نيلهم من خصومهم وهذا في قوله" يا آل مروان..." وذلك لمحاربتهم البدع و نشرهم الأمن و الطمأنينة بين الناس، وقال كذلك" إن البرية ترضى ما رضيت" دليل على أن أمر الخليفة مطاع بين قومه فهم رهن إشارته و يفعلون كل ما يأمرهم به، يعود مدح جرير للخليفة من أجل الحصول على رضاه من جهة ونيل الهبة والعطايا من جهة أخرى وهذا ديدن الشعراء في كل العصور وهو مصدر ارتزاقهم .

[1]- علي محمد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار, م1, دار المعرفة, بيروت, ط2, 2008,ص584.

[2]- ديوان جرير, ص278_279.

يمدح جرير عبد الملك بن مروان في قصيدة أخرى فيقول:[1]

تَعَزَّتْ أَمُّ حَزْرَةَ ثُمَ قَالَتْ: رَأَيْتُ الوَارِدِينَ ذَوِيْ اِمْتِنَاحِ

تَعَلَّلُ، وَ هِي سَاغِبَةٌ، بَنِيَهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّبَمْ القِرَاحِ

سَأَمْتَاحُ البُحُورْ، فَجَنِبِينِيْ أَذَاةَ اللَّومِ وَ اِنْتَظِرِي اِمْتِيّاحِي

ثِقِي بِالله لَيْسَ لَهُ شَرِيْكٌ، وَمِنْ عِنْدَ الخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

سَأَشْكُرْ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيشِي وَأَثْبِتّ القَوَادِمْ فِي جَنَاحِي

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

يبدو من خلال هذه الأبيات إجادة الشاعر في انتقاء الألفاظ والعبارات التي يعبر عن من طاله الفقر وما عانه هو وزوجته التي تسكت أبناءها الجائعين بجروعات من الماء البارد، فشبه الخليفة بالبحور ونفسه بالطائر الذي فقد ريشه و ينتظر من الخليفة أن يكسوه و يعيد إليه ريشه فوفق في الأبيات الأخيرة حين صور منزلة الأمويين و جودهم، واستحسنها عبد الملك بن مروان حيث تركت في نفسيته أثرا و إعجابا شديدًا، مما جعله يعطيه مائة ناقة وثمانية من الرعاء.

« هذه الصورة أعجبت النقاد و أطربتهم، فرأوا فيها أجمل الصور و أبدع التعابير، في هذا الباب، فكان البيت أطيب ما عرف العرب في المدح لأنه رفع ممدوحيه فوق العالم و جعلهم أحسن الناس».[2] وذلك في قوله:

"أَلستُمْ خَيْر منْ ركِبَ المطَايَا وأنْدَى العالَمين بُطُون رَاح"

[1]- ديوان جرير, ص77.

[2]- سامي الدهان: المديح, دار المعارف, القاهرة, ط5, د ت, ص21_22.

ب_ مدح هشام بن عبد الملك:

ومدح جرير لم يقتصر على الخليفة عبد الملك بن مروان فقط بل قصد كذلك مدح الخليفة هشام بن عبد الملك وهو عاشر خلفاء بني أمية ومدة خلافته تسعة عشر سنة فقال فيه:[1]

عَفَا النّسْرَانِ بَعَدكَ وَ الوَحِيدُ وَ لاَ يَبْقَى لِجِدَتِهِ جَدِيدُ

وَ حَيَيْتُ الدِيَارَ بِصَلْبِ رَهْبَى وَ قَدْ كَادَتْ مَعَارِفَهَا تَبِيدُ

أَمِنْ خَوفِ تُرَاقِبُ مَنْ يَلِينَا كَأَنَّكَ ضَامِنٌ بِدَمِ طَرِيدُ

بِأَوْدِ وَ الإِيَادِ لَنَا صَدِيقٌ نَأَى عَنْكَ الإِيَادُ وَ أَيْنَ أَوَدُ

يبدأ جرير قصيدته"هشام الملك و الحكم المصفى" بالبكاء على الديار التي طرد منها واشتياقه لها رغم السنوات الطويلة التي مرت عليه" ألم يك في ثلاث سنين هجر" ثم يذكر لنا حنينه لصديقه.

ثم ينتقل جرير إلى مدح هشام بن عبد الملك فيقول:[2]

تَعَرَضَتْ الهُمُومُ لَنَا فَقَالَتْ جُعَادَةَ: أَيْ مُرْتَحَلٍ تُرِيدُ

فَقُلتُ لَهَا الخَلِيفَةُ غَيْرَ شَكٍ هُو المَهْدِيّ، وَ الحَكَمُ الرَّشِيدُ

وَ تَبْدَأُ مِنْكُمْ نِعَمٌ عَلَيْنَا وَإِنْ عُدْنَا، فَمُنِعَكُمْ مُعِيدُ

تَزِيدوْنَ الحَيَاةَ إِلي حُباً وَذِكْرٌ مَنْ حِبَائِكُمْ حَمِيدُ

لَوَ أنّ الله فَضّلَ سَعْيَ قَوْمٍ صَفَتْ لَكُم الخِلافَةُ وَ العهُودُ

انتقل جرير في هذا الأبيات من البكاء على الأطلال إلى الرحلة التي يذكرها ليصور ما لحق به من هموم ذاكرا الصعاب التي واجهته خلالها« كان هم الشاعر في -الأغلب- أن

---

[1]- ديوان جرير, ص115.

[2]-المصدر نفسه, ص116.

يرضي نزعته الفنية إلى مجاراة الجاهيلين، و يرضي الممدوح بتهويل ما لاقى في طريقه من أهوال».[1]

يكمل جرير قصيدته ليصل إلى الغرض الأساسي ألا وهو مدح الخليفة هشام بن عبد الملك فيقول:[2]

هِشَامُ المُلْكِ وَ الَحكَمُ المُصَفّى يَطِيبُ إذا نَزَلْتَ بِه الَصّعِيدُ

يَعُمّ عَلى الَبريّةِ مِنْكَ فضْلٌ وَتُطْرِقُ من مخافِتكَ الأسُودُ

وَ إنّ أهْلُ الضّلالَةِ خالَفُوكُمْ أصَابَهُم كَماَ لقَيِتْ ثَمُودُ

شقَقْتَ مِنَ الفُرَاتِ مبُاركَاتٍ جَوَارِيَ قدَ بلَغْنَ كَمَا تُرِيدُ

يَغَضّون الأنَامِل إنْ رَأوْهَا بسَاتيناً، يُؤازِرُهَا الحصيدُ

وَ مِنْ أزْواجِ فاَكِهةٍ وَنَخْلٍ يَكُونُ بحَمْلِهِ طَلْعٌ نَضِيدُ

في هذه الأبيات يمدح جرير الخليفة هشام بن عبد الملك بالإمام العادل لحكمه السديد العادل، ووصفه بالرشيد لرزانة عقله ومدحه هنا يمتزج بالسياسة التي لابد ان تقوم على إحلال الحلال و اجتناب الحرام و قد سعدت البلاد بحكمه وذلك لاستقامته.

يمضي جرير في قصيدته مستعملا كلمات ذكرت في القران زادت من جمال المدح" يغضون الأنامل، الحصيد..." فمثلا في قوله "ثمود" شبه لنا أن كل من يعارض أوامر الخليفة وحكمه سيلقى مصير قوم ثمود و ذلك في قوله تعالى﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودْ بِطَغْوَىهَا(11) إذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا(12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله نَاقَةَ الله وَ سُقْيَاهَا(13) فَكَذَّبُوهْ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ فَسَوَّىهَا(14)﴾[3].

---

[1]- عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي و الأموي, ص318.

[2]- ديوان جرير, ص17.

[3]- سورة الشمس الأية 14.

ويبين جرير إنجازات هشام بن عبد الملك في شق الترع والأنهار والزروع التي تكاملت جعلت من بلاده جنة حسده الحاسدون عليها.

فاستطع جرير أن يصل إلى ابواب الخلفاء ومدحه جعله ينال النعم والعطايا وجزيلة وأبعدته عن الفاقه والحاجة، اضافة إلى أنه كان موثقنا ومؤرخا لهذه المرحلة الهامة من الحضارة الإسلامية.

2-1 مدح الولاة:

حظي مدح ولاة بني أمية بقدر لا يقل عن مدح الخلفاء، فمدحهم يزيد قربهم وبقاءهم في منصب الولاية وينالون حظوه عند الخليفة لذلك كانوا يجزلون العطاء للشعراء.

أ_ مدح الحجاج الذي أكثر منه جرير يقول:[1]

سَئِمْتُ مِنْ المُوَاصَلَة العِتَابَا وَأمسَى الشَّيبُ قَدْ وَرَثَ اَلشْبَاَباَ

لَقَدْ أقْرَرْتِ غَيْبَتَنَا لِوَاشٍ وكُنّا لا نُقِرَ لَكِ اغْتِيَابَا

أناةٌ لا النَّمُومُ لَهَا خَذَينْ وَلا تُهْدي لجارَتهَا السَّبَابَا

تَطيبُ الأْرضُ إنْ نَزَلَتْ بأَرضِ وَتُسْقَىَ حِينَ تَنزِلُها الربَّابَا

كَأَن المِسْكَ خَالطَ طَعم فيِها بمِاءِ المُزْنِ يَطّردُ الحَبَابَا

في هذه الأبيات يتحدث الشاعر عن المعاتبة بين الأحبة وعن الواشي الذي يفرق بين المتحابين ثم إنه يصف محبوبته بأنها ليست نمامة ولا سبابة لجارتها ثم ينتقل لوصف ممدوحه يقول:[2]

دَعَا الحَجّاجُ مِثْلَ دُعاءِ نُوحِ فأسَمع ذا المَعارِجِ فاستَجابَا

صَبَرْتَ النّفسَ يا ابنَ أبي عَقيلٍ مُحافَظَةٌ فكَيفَ تَرىَ الثّوَابَا

---

[1]- ديوان جرير, ص 20 .

[2]-المصدر نفسه, ص 21.

إذا سَعَرَ الخَلِيفَةُ نارَ حَرْبٍ رَأى الحَجّاجَ أَثْقَبَها شِهَابَا

تَشُدُّ فَلا تُكَذَّبُ يَوْمَ زَحْفٍ إذا الغَمرَاتُ زَعزَعَتِ العُقَابَا

عَفارِيتُ العِراقِ شَفَيْتَ مِنْهُمْ فَأَمْسَوْا خِاضِعينْ لكَ الرِّقَابَا

وَقالُوا: لَنْ يُجامِعَنَا أَمِيرُ أَقَامَ الحَدّ و اتَّبَعَ الكِتابَا

إذا أخذَوا، و كَيدُهُمُ ضَعيفٌ بِبابِ يُمْكُرُون فَتَحتَ بَابَا

وإذا عَلِقتْ حِبالُك حبْلَ عاص رَأى العاصِي منَ الأجَلِ اقتِراباَ

وصف جرير ممدوحه "الحجاج" بأنه رجل مؤمن بالله ودعا على أعدائه وأعداء الإسلام بدعاء نوح عليه السلام فاستجاب الله سبحانه له ونصره وأنزل عليه الملائكة التي أيدته بنصره، وقد عرف عن الحجاج أنه شديد في الحكم جبار يبطش كل معارضيه وقد قتل كثير من الصحابة والتابعين ومع ذلك حق له هذا المدح بسبب المنصب والولاية وإن كانت على غير هوى الناس.

إن مدح جرير للحجاج مدح سياسي تتخلله بعض العبارات الدينية، خاصة أنه أشتهر عن بني أمية وحماية ملكهم وتوليه ولاية العراق وهي من أبرز ولايات بني أمية وظهرها الحامي من الأعاجم، فشبهه بالشهاب الثاقب الذي يشد يوم الزحف ثابت الراية و إذا علقت حباله حبل عاص رأى العاصي الموت يقترب منه و هذه الاستعارة لا تصور المعنى فحسب بل تجعل خصمه يرتعد خوفا، يقول شوقي ضيف: « و من يقرأ شعره في الحجاج يكبر من شخصيته، و الحق أن الحجاج شوّهه الرواة في العصر العباسي إرضاء للعلويين والعباسيين جميعا، و طبعا كانت فيه قسوة و لكنها كانت قسوة ضرورية، و إنّ من يقرأ وصف جرير له ليعرف أنه كان يتبع سياسة حازمة رشيدة».[1] وطبعا تبقى وجهات النظر التاريخية في الحجاج مختلفة ولكن هذا لا ينكر ديكتاتوريته وولاءه لبني أمية على حساب الحق، فقول شوقي ضيف يؤكد قساوة الحجاج في تعامله مع العباسيين والزبيريين وهذا ما جعل الرواة

[1]- شوقي ضيف: التطور و التجديد, ص 154-155.

يشوهون سمعته، لكن جرير كرّس شعره في مدحه لأنه ساعده للوصول إلى خلفاء بني أمية ليمدحهم و يحصل على الهدايا و العطايا.

حافظ جرير على نهج القصيدة المدحية التي وضع قواعدها شعراء العصر الجاهلي فجاءت قصائده مزيج بين مدح الخلفاء والولاة، وهذا ما نجده في مدح عبد الملك بن مروان وهشام والحجاج فيبدأ بالمقدمات الطللية ومشاهد الرحيل وغيرها من الأغراض ليخلص إلى الغرض الرئيسي في القصيدة ألا وهو المدح، وهذا راجع إلى براعته في الملائمة بين العناصر التقليدية الموروثة والعناصر الجديدة المستحدثة ومن خلال استخدامه للألفاظ العربية التي تأثرت بالقرآن الكريم مما أضفى عليها شيء من السهولة فجاءت قصائده خليطا من الألفاظ الدينية في مدحه الخلفاء والولاة لكن مع ذلك يختلف مدحه من خليفة إلى آخر و ذلك راجع لاختلاف صفات الممدوح.

نوع جرير في مدائحه بين الحديث عن السيرة الحسنة والعدل والشجاعة وحسن قيادة الجيش وهدف إلى إرضاء الممدوح والكسب أيضا.

يعد مدح جرير وثيقة تاريخية للكشف عن واقع دولة بني أمية لما فيها من تناقضات وما رافقها من خلافات سياسية على الخلافة.

الهجاء:

يعتبر غرض الهجاء غرض مهم من أغراض الشعر العربي، فهو يساهم في تصوير حياة الأفراد والمجتمع ولتأريخ حين يصدق الشاعر في التعبير، ففي العصر الجاهلي وصدر الإسلام « كان الهجاء فنا غير معقد، إذ كان يقف الشاعر عند أفكار عامة من الجبن والقعود عن الثأر والبخل ونحو ذلك، وقد أضاف شعراء الرسول خاصة عبد الله بن رواحة الحديث عن الإيمان والكفر[1]» أما في العصر الأموي فقد احتدم الهجاء احتداما شديدا بتأثير العصبيات لقبلية التي اشتعلت بسبب شعراء القبائل في مدينتي البصرة والكوفة فاجتمع

[1]- شوقي ضيف : التطور و التجديد، ص162.

الشعراء في المربد والكناسة والناس حولهم [1] ، ويستمعون إلى ما ينشدون وبالإضافة إلى هذه العصبيات نجد أسبابا شخصية كثيرة ساعدت على إندلاع نيران الهجاء فمن ذلك أن ينتصر أحد الشعراء لزميل في تهاجيه مع زميل أخر.

تعقدت قصيدة الهجاء وكثر عدد أبياتها واتخذ الشعراء من هزائم بعضهم في الجاهلية سهاما يصوبونها إلى صدور خصومهم وتحول الهجاء إلى غرض دائم مستمر وجد عند الناس قبولا واستحسانا لأنهم بدأوا يتحلقون حول هذه الحلقات ليسمعوا الجديد من الشتائم والغريب من الأخبار والنوادر من الحوادث وكثيرا ما كانوا يتحركون من شاعر إلى اخر ليلهبوا الحماس ويثيروا النفوس وينتظروا النتائج وتغيرت صورة الهجاء، فأصبح ينشد يوميا وأحترفه الشعراء إحترافا وأعجب الناس به من الخصوم وغير الخصوم وسعى الشاعر إلى نيل رضى الناس وإثبات تفوقه على خصومه[2].

عرف هدا الفن عند الشعراء الثلاثة" جرير والفرزدق والأخطل" الذين كرسوا حياتهم لخدمة هذا الفن، متأثرين في ذلك بظروف العصر سواء كانت سياسية بسبب دعم السلطات الأموية لغرض الهجاء وباركته، ومن جهة أخرى لإلهاء الناس وإبعادهم عن الاهتمام بسياسة البلاد والاعتراض والمطالبة بما هو أهم لتخلو الساحة السياسية، فمصلحتهم أن يشتغل الناس بأمور أخرى غير الخوض في أمور الحكم وسياسة الدولة.

أسرف هؤلاء الشعراء في الحديث عن الأيام والأنساب والأباء والأجداد، مصورين مفاخر ومثالب كان يفترض أنها نقصت أو ضعفت في عصر الاسلام يقول شوقي ضيف« وجدنا جريرا أشد عنفا من صاحبيه فيها، فهو حين يصل إليها يشبه الطائر الجارح حين ينقض على فريسته، يريد أن لا يبقي فيها شيئا، ولعلى ذلك ما جعله يلجأ في أحوال كثيرة إلى هتك الحرمات و الأعراض كأنه يريد أن يمزق خصمه تمزيقا[3]» يؤكد شوقي ضيف أن الأخطل والفرزدق دون مستوى عنف جرير في الهجاء، فقد عرف عنه كثرة الألفاظ العنيفة في

---

[1]- ينظر شوقي ضيف: التطور والتجديد، ص163.

[2]- المرجع نفسه، ص163.

[3]- المرجع نفسه، ص163.

هجائه نحو السب والشتم وهتك الأعراض والمحرمات، واستمد ذلك من الشعر الجاهلي فبناؤه للقصيدة يشبه في أحيان كثيرة القصيدة الجاهلية الطويلة بتقاليدها المعروفة من نسب ووقوف على الأطلال ووصف المطية والرحلة وانتقالها إلى الهجاء أو المفاخرة، وهو ما خلقه السياق السياسي في العصر الأموي .

1 / هجاء الشعراء:(النقائض)

أ_ هجاء الأخطل:

تمرس جرير على الهجاء قبل الأخطل وغيره من الشعراء أمثال : الفرزدق والراعي النميري اعتمد في هجائه على أساليب الإقذاع والفحش وإدراك المثالب والعورات ويقول في هجائه للأخطل :[1]

وَلَقدْ عَجْبتُ مِنَ الدّيارِ وَأهْلِها وَالدّهْرِ كَيْفَ يُبدّل الأبْدالِ

وَرأيْتُ راَحِلةَ الصَّباَ قَدْ أَقْصَرتَ بَعدَ الوَجِيفَ، ومَلّت التِرحَالا

إنّ الضَعائِن، يَوم بُرقَةَ عَاقِلِ قَد هِجنَ ذا سَقمِ فَزدَن خِبالاً

يستهل جرير قصيدته" قبح الإله وجه تغلب" بذكر الرحلة وما يحدث في السير والتعب الذي صار باديا على الراحلة.

ينتقل جرير قائلا:[2]

قَبَحَ الإِلَهَ وَجْهَ تَغْلَبْ إِنَهَا هَاَنْت عَليّ مَرِاسَنَا وَسِباَلاَ

قَبَحَ الإِلَهَ وَجْهَ تَغْلَبْ كُلَمَا شَبَحَ الْحَجِيْجُ وَكَبْرَوُا إِهْلاَلاَ

عَبَدُواْ الصَلَيبَ وكَذَبوُا بِمُحَمدْ وَبجِبرئَيلَ وَكذَبُوا مِيكَالاَ

---

[1] -ديوان جرير ص360.

[2]- المصدر نفسه ص361.

يشد جرير على الأخطل وقبيلته في هذه الأبيات ويهجوهم فيتعرض لعقيدتهم، وقد استغل نصرانية الأخطل خاصة أنه لا يمكنه أن يرد عليه هاجيا ديانته فهي ديانة الخلافة، الذين يقربونه في بلاطهم فلا يمكن أن يناقضه بقصيدة يتعرض لدينهم ودينه لأنه إذا مس جريرا سيمس الخلفاء خاصة أنه الشاعر المفضل عندهم، ولهذا يستغل جرير هجاء دينه ومعتقده ليتقرب من خلفاء بني أمية وهذا هجاء ديني استعمل فيه جرير الفاظا وتعبيرات دينية مصطلحات دينية ولكن هدفه منها كان سياسيا ليجذب أنظار الخلفاء نحوه.

يمضي جرير في قصيدته يقول:[1]

وَالْتغْلبُيَ إذَا تنَحْنحَ لِلقرىَ حَكَ إِسْتهُ ، وَتمثَّل الأمَثالاَ

يصور جرير في هدا البيت نظرته للأخطل وقومه بالتعريض بسوء إستضفاتهم للناس فيصور تصرفات تشير إلى بخلهم و تهربهم من واجب الضيافة، فالرجل التغلبي "نسبة إلى قبيلته تغلب"لا يزيد عن التنحنح و إصدار حركات مرتبكة كأن يحك مؤخرته وهذه الحركات تدل على السخرية من الأخطل، لأن القصد من ذلك هو تصوير الإرتباك النفسي و تجسيد إحساس التغلبي بهذا الارتباك وهذا ما جعله في حيرة فهو مدعو إلى إكرام الضيف وهو ليس من طبعه .

يكمل جرير في قصيدته يقول :[2]

حَملَتْ عَليَكَ حُماَةُ قَيُس خَيْلهَا شَعَتاَ عَوا بِسَ تَحْمِلُ الأَبَطَالَا

مَازِلت تَحْسِبْ كُلَ شَيءَ بَعْدهمْ خَيلاً تَشُدَ عَليْكِم وَرِجَالاَ

قَالَ الأُخَيطِلْ إذْ رأَىَ وَ اياَتهمْ : ياَ مارَ سِرجْس لاَ نرُيد قتِالاَ

هلاَ سألَتَ غشَاءَ دْجلةَ عَنهُم والحَامِعاتَ تَجْمع الأَوصَالاَ

[1]- ديوان جرير، ص 362 .

[2]- المصدر نفسه، ص 362 .

يصور جرير في هذه الأبيات الأخطل فيصفه بالجبن والضعف بسبب ما لاقاه من فرسان قيس، فـأصبحت الأمور تختلط عليه فيظن أن كل ما يتحرك أمامه قتال فيرتد مذعورا لا يرد القتال،ويهجو جرير الأخطل وقومه في قصيدة أخرى فيقول[1]:

تَلقَىَ الأُخَيْطِلْ فِي رَكبْ مطَارِفهَم ... برَقُ الْعبَاءُ ومَا حَجْوُا وَماَ اعْتمرُواَ

الضَاحِكَينَ إِلىَ الخِنزِيرَ شَهْوَتهُ ... ياَ قَبْحتْ تِلكَ أَفوَاهَا إِذاَ اكْتشَرواَ

وَالْمقرَعِينَ علَى الخِنزيرَ مَيسرِهُم ... بِئسَ الجَزوُر وَ بِئَس القَومْ إِذْ يسَرواَ

وَالتْغلبِيْ لئِيمَ،حِينَ تَجْهرَه ... وَالتْغلبِيْ لئِيمَ حِينَ يُخْتبَرُا

وَالتْغلبِيْ ، إِذاَ تمَت مُرَوءَتهْ ... عبَد يَسوقُ رِكاَبْ القَومُ مؤَتجَر

ياَ خُزرَ تَغلْب إِنَ اللؤُم حَالفُكمَ ... مادَامَ فِي مآردِين الزْيتُ يعُتصَر

ربما كان الجديد في هجاء جرير للأخطل عنصر الهجاء الديني وهو العنصر الذي أكثر منه وألح عليه، حيث نجد معاني الكفر بالإسلام وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر منتشرة بكثرة في هجائه ويغلب عليها طابع الجِدّ والصرامة .

يؤكد جرير لؤمهم في هده القصيدة فيستخدم هذه اللفظة مرتين في البيت" والتغلبي اللئيم" فكل ما فيهم لئيم فأخلاقهم لئيمة و أجسادهم لئيمة .

ويعلل أحمد الشايب سبب تفوق جرير على الأخطل بقوله « ولعل مرجع ذلك خشيته أن يهاجم نساء المسلمين في دولة إسلامية ترعاه، أو يخلط مدائحه في الخلفاء بهذا السباب، أو يتورط في شيء لا يلائم طبعه فقلت في شعره هذه الصورة القبيحة»[2].

ب_ في هجاء الفرزدق :

استغل جرير فجور وفسق الفرزدق فقد كان يعرف بهم وراح يحتقر ويقلل من شأنه في صورة هجائية فاضحة تسلب الفضائل وتحط من قدر الإنسان صاحب الخلق الكريم .

---

[1]- ديوان جرير، ص 200.

[2]- أحمد الشايب : تاريخ النقائض, ص 414.

يقول جرير هاجيا الفرزدق في قصيدته" وزواز قصير القوائم"[1]

لَقدْ وَلدَتْ أمُ الفَرزْدق فَاجِراً وَجاَءتْ وِزْوازً قَصِيرَ القوَائمْ

يصور جرير في هذا البيت الفرزدق بالفاجر والفجور كما هو معروف إرتكاب المعاصي والمحرمات والرذائل التي يبتعد عنها الإنسان صاحب الأخلاق الكريمة، ويلجأ إليها صاحب الأخلاق السيئة الذي لا يؤمن بالمعتقد الديني، فالشاعر ألصق هذه الصفة بالفرزدق وجعلها من عيوبه الدائمة وقد أعاد جرير هذا البيت في قصيدة أخرى"الفرزدق ثعلب ضغا" فيقول:[2]

لَقدْ وَلدَتْ أُم الفَرزْدق فَاسِقاً وجَاءتْ بِوزوَاز قَصِيرَ القَوائِمْ

استعمل جرير كلمة " فسق" بدلا من كلمة" فاجر" وذلك لأنها أكثر شتما و إحراجا فالفسق توحي بالعصيان وترك أوامر الله سبحانه فالمعاني التي يستعملها جرير تظهر ثقافته الدينية فقد استطاع أن يجعل هذه النعوت لصيقة بالفرزدق.

لم يكتف جرير بهده الكلمات بل صور الفرزدق بوزواز أي طائش خفيف يقارب خطواته ويحرك جسده في مشيته، من خلال هذين البيتين نلاحظ براعة الشاعر في تقديم الصور الهجائية التي تخرج المهجو من دينه إلى الإنحراف واللجوء إلى السلوك المشين والأخلاق المنحطة، كما يعيبه جسديا في حركاته الملتوية أثناء المشي فهي تدل على عدم ثباته .

يكمل جرير في هجائه للفرزدق في قصيدة أخرى" إن الفرزدق رجس " يقول في أبياتها:[3]

إنّ الفَرزْدق حِينَ يدْخِل مسْجداً رِجسْ فلَيسَ طُهْورِه بِطُهور

إنّ الفَرزْدق لاَ يُبالِي مَحرماً ودمَ الهدَي بأذَرعْ ونُحوَر

يستغل جرير نفي عمر بن عبد العزيز للفرزدق من المدينة وراحا يرميه بالرجس وانتهاك الحرمات وعدم الطهارة، وبما أن الرجس هو القذارة فلا شيء يطهره ولا يزول عنه

[1]- ديوان جرير, ص 459.

[2]-المصدر نفسه, ص 457.

[3]- المصدر نفسه, ص 149.

ذلك حتى بالوضوء كما أن وصف المكان الذي يكون فيه بالدنس، وقد استوحى جرير هذا من قوله تعالى: ﴿ يَأَيُهَا الَّذِينَ ءامَنُوا إِنَّمَا المُشرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقُربواْ المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعدَ عَامِهم هَذَا وَإِن خِفتُم عَيْلَة فَسَوف يُعنِيكمُ الله مِن فَضلِه إِن شَاءَ إِنَّ الله عَلِيمُ حَكِيمٌ(28)﴾ [1]

كما أنه لا يبالي لمحرمات المسلمين ولا يحفل بالأضاحي التي تنحر في الكعبة تبركا وتمثلا.

يخبرنا جرير خروج الفرزدق من العراق منفيا فيقول:[2]

خَرجْت مِنَ العِراقَ أنْتَ رِجسْ تلَبسَ فِي الظَلالَ ثِيابُ غولِ

وماَ يخْفى عَليكَ شرَاب حَد ولا وَرْهاء غَائِبةَ الحَليْل

يرسم جرير الفرزدق في صورة ساخرة في غاية الإهانة فهو يخرج في الليالي بغية الفسق والزنى مستغلا مجموعة من النساء الحمقى، فتماديه على حدود الإسلام يوجب عليه العقوبة.

صور جرير أن إخراج الفرزدق وإبعاده لم يصدر عن شخص واحد أو عن أهل المدينة وحدهم فيقول:[3]

نَفاكَ حَجِيجُ الْبيتِ عَنْ كُلّ مَشْعرٍ كمَا رُدّ ذُو النَميتيِّنِ الُمزَيِّفَ

يبين هذا البيت أن طرد الفرزدق لم يقتصر على شخص واحد "كعمر بن عبد العزيز" وأهل المدينة بل من البلاد الإسلامية شرقها وغربها لأنه فاسد العقيدة.

---

[1]- سورة التوبة الأية 28.

[2] ديوان جرير, ص 351.

[3]-المصدر نفسه, ص 298.

2 _في هجاء المرأة:

كما اعتاد جرير في قصائده على رمي خصومه فهو لا يرحم النساء ولا يشفق عليهن ولا يبالي حين يدمي العرض ويخدش الكرامة والعفة، فهو يريد أن يعرض المهجو في صورة ساخرة مستهزئة معيبة فيقول جرير في هجاء نساء بني تغلب قبيلة الأخطل:[1]

لَعنَ الإِلَهُ نِسْيةَ منْ تَغْلبْ يَرفْعنَ مِن قِطَع العَباءِ خُدوراَ

مِنْ كُل حِنكلَة ترَى جِلبْابَها فرَوا وَتقلبَ للعباءِة نيراَ

وَكأنما بصَق الْجرادُ بَليتهَا فالَوَجهْ لاَحَسنًا ولاَ منْضُوراً

لقَي الُأخَيْطِل أُمهُ مَخْمُورةَ قِبحَا لذَلكَ شارباً مَخْمُوراً

لمْ يَجزْ مذُ خُلفَت علَى أَنيَابِهاَ ماَء السِواكَ ولمْ تمَس طُهُوراً

لقَحتْ لأَشْهبْ بالكَناسَة دَاجِن خِنزِيرةَ فتوالَداَ خِنزِيراً

يعبث جرير من خلال هذه الأبيات ببعض نساء تغلب ويصورهم في صورة قبيحة ويسخر منهم، فيبين الجراد وهو يبزق في مجرى العنق وخاصة أن العنق رمز من رموز جمال المرأة فجرير حاول استغلال هذا الرمز لكي يعيب عليهن هذه الصفة التي لا توجد في غيرهم من النساء، فيصور أسنانهن وقد التصقت باللثة فمالت الأنياب على الأسنان فأصبح الضرس كالحافر، ويكمل جرير هجائه فيعير أم الأخطل بشرب الخمر بالإضافة إلى القذارة والقباحة وغيرها من الصفات الرذيلة التي قدمها، بطريقة تثير السخرية ويضيف جرير إلى هجائه أسنان هذه المرأة السوداء التي لم يمر بها ماء السواك، مع أن الإسلام علمها الطهارة و النظافة إلا أنها لم تلتزم بذلك.

أما في البيت الأخير فيتعرض جرير إلى نسب الاخطل فيقول عن أمه ويصفها بالخنزيرة التي تلد الخنزير، جاوز جرير الحدّ في هجائه ووصل إلى مذمات كبيرة كان يجدر به أن يلتزم هو بتعاليم الإسلام التي تحارب الكل لأنه لم يأخذ بها، والعربي كان يقف عند حدود

[1]- ديوان جرير, ص 225.

معينة خاصة النساء والأطفال إلا أن جريرا ضرب كل ذلك عرض الحائط من أجل منافسة شعرية وتكسب دنيوي.

يهجوا جرير نساء تغلب في أبيات أخرى فيقول:[1]

نِسْوَانُ تَغْلِبَ لا حِلْمٌ وَلا حَسبٌ وَلا جَمَالٌ وَلا دينٌ ولا خَفَرُ

يهجو جريرا نساء تغلب فيجردهن من العقل والجمال والحياء ويرمي نسائهن بالشك والريب، بالإضافة إلى التعرض لدينهم الذي لا يرضي الله ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة" أبو بكر وعمر" فهم بانحرافهم عن الدين لا يضرون الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء، فجرير في هجائه لهؤلاء النسوة يعرضهن للسخرية والحط من قدرهن أمام الناس.

ويهجو جرير أم الفرزدق في أبيات يقول فيها:[2]

ما بَالُ أُمّكَ إذْ تَسَرْبَلُ ذِرعْهَا وَمِنَ الحَديدِ مُفاَضَةٌ سِربْالَي

حَمّمْتَ وَجهَكَ فَوْق كِيرِك قائماً وَسَقَيْتَ أمَّكَ فَضْلَةَ الجِرْيَال

فَانْفُخْ بكِيرِكَ يافَرَزْدَقُ وَانْتَظِرْ في كَرْنَباءَ، هدَيّةَ القُفّالِ

يبدو أن جريرا أدخل في هجائه أخلاق الجاهلية وعاب من كان يحترف الصناعة والمهن المحتقرة، زاعما أن أجداد الفرزدق كانوا يعيشون بالحدادة ويقضون أيامهم قرب النار والحديد فيصور أم الفرزدق في ثياب الصناع تعمل مع ابنها على مقربة من هذا الجحيم خلال الحر و أنه يسقي أمه فضلة الخمر جزاء ما تقوم به، فهو نافخ للكير ينتظر ثوابه من الزبائن.

[1]- ديوان جرير, ص 201.

[2]-المصدر نفسه, ص 377.

وقعت " المرأة" والأم المقدسة ضحية خصام الشاعرين، فأخذ كل شاعر يرمي الأخر بهجائه حتى وصلوا إلى ما حرم الله من مواضع الجسد فقد جعلوا منها سلعة رخيصة وفي هذا يقول الفرزدق في هجاء أم جرير:[1]

جاؤوا بِحِقَّهَ مُفرِمينَ عِجانَها يَخْذُوا الأوتانَ بِها أجيٌر مِزْحَلُ

وَقَفَتْ لِتَزْجُزنَي فقلت لها ابركي يا حِقُّ أنتِ وما جَمَعْتِ الأَسْفَلُ

وَتَركْتُ أُمَّكَ يا جَريُر كَأَنَّها لِلنّاسِ بارِكَةَ طَريقٌ مُعْمَلُ

وَكَأَنَّما كَمَرُ الغُواةِ عَلَى اسْتِها أوْارِدُ ما سَقَتِ النّباجُ فنَّيتَلُ

يا حِقُّ ما نُبّئْتُ مِنْ رَجُلِ لَهُ خُضْيانِ إلاّ ابْنَ المَراغَةِ يَحْبَلُ

نجد أن الفرزدق ماثل جريرا فعرض بأمه وجعلها في أدنى مواضع الإبتذال وجعل منها دمية عارية مشوهة، واختيار الفرزدق "لأم" كان لأن المس بها يولع نفسية الخصم فهي شرف الانسان وعرضه ولا يستطيع أي شخص تحمل المساس بالأم وهذا ما جعل جرير يرد عليه يقول:[2]

قَعدَتْ قُفَيْرَةُ بالفَرَزْدِقِ بَعْد ما جَهَدَ الفَرَزْدَقُ جَهْدَهُ لا يَأتلِي

أَلْهَى أباكَ عَن المَكارِمِ والعُلَى ليُّ الكَتائِفِ و ارتِفاعُ المِرجَلِ

وَ لَدَتْ قُفَيرَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ خِبثَه بَعْدَ المَشيبِ و بَظْرُها كالمِنْجلِ

بِزرَودَ أرقَصَتِ القَعودُ فِراشَها رَعَثاتِ عُنبُلِها الغِدَفْل الأَزعَلِ

أشْرَكْتِ إذْ حُمِلَ الفَرَزْدقُ خِبثَهَ حَوْضَ الحِمارِ بِلَيلَةِ مِنْ نَبْتَل

يظهر أنهما تبادلا السباب والتعريض بالأمهات.

---

[1]- أبو عبيدة معمر: كتاب النقائض(نقائض جرير و الفرزدق), ج1, دار الكتب العلمية, بيروت, ط 1, 1998, ص 150.

[2]- المرجع نفسه، ص 168- 169.

يكشف النصان السابقان صورة متخاصمين في حلبة هجاء دون عداء سابق بينهما والغاية من هذا الجدل هو رغبة تفوق شاعر على صاحبه بالإضافة إلى نيل الحظوظ عند الجمهور.

3_هجاء قبيلة الفرزدق:

هجا جرير قبيلة الفرزدق ووصفها بصور هجائية ساخرة في جوانب متعددة وطرق عديدة غايتها الاهانة فجردهم من الروح الانسانية وألصق بهم مواصفات الحيوانات، كما هجا شكلهم وخلقهم وانتقل إلى صفاتهم الداخلية فيصفهم نحو خور القلب وضعفه،لم يقف جرير عند هذا الحد بل مس الشرف والكبرياء يقول في ذلك:[1]

خَنَازِيرُ نامُوا عَنِ الَمكْرُمَاتِ فَنبّههُمْ قَدرٌ لَمْ يَنَمِ

فَيَاَ قُبْحَهُمْ في الذي خُولُوا ويَا حُسْنهُمْ في زَوالِ النَّعَمِ

يتضح أن جرير يهجو قوم الفررزدق "بني مجاشع" متخيرا أبشع الحيوانات صورة لأعدائه وهي صورة قاسية كما أفقدهم جميع المكرمات وانتزعها منهم انتزاعا واستبدلها بالقبح و أزال كل النعم عنهم.

وجرير يهجو قوم الفرزدق في أبيات اخرى يقول:[2]

لا يَخْفيَن عَلَيْكَ أنَ مُجَاشِعاً لَوْ يُفْخَرُونَ مَن الخُؤورِ لطَارُوا

قَدْ يُؤسَرُونَ فَما يُفَكَ أسيرُهُمْ وَ يُقَتَّلُونَ فَتَسْلَمُ الأَوْتَار

يصور جرير خصومه "بني مجاشع" بأبشع الصور المهينة اللإنسان العفيف الكريم فهو ينفي عنهم الرجولة وينتزعها منهم، فقد ترى في وجوههم الرجولة ولكن ضعفهم كضعف النساء فهم يشبهون النساء في طباعهن وضعفهن وقلة حيلتهن، فجرير يلحق ببني مجاشع الخزى والعار، ولا يترك خصمه حتى يفرغه من إنسانيته و يرميه قشورا لا قيمة لها.

---

[1]- ديوان جرير, ص 464.

[2]-المصدر نفسه, ص 464.

تعد قصيدة الهجاء في العصر الأموي سببا في إثارة الحروب فقد استمد الشعراء الصور والألفاظ والأساليب من القصيدة الجاهلية، وذلك بالوقوف على الاطلال ووصف المطايا وصولا إلى غرض الهجاء، ويعد الهجاء في هذا العصر امتدادا للهجاء الجاهلي فالأصل فيه التقليل من شان المهجو و إلحاق النقائض به سواء كان فردا أو قبيلة.

تفوق جرير على خصومه "الفرزدق والأخطل" في الهجاء وذلك لهتكه الأعراض وإباحة المحرمات وتصويره العورات، فاستعمل فحشا لم يعرفه الشعر العربي منذ الجاهلية وخاصة نقائضه مع الفرزدق.

سلك شعراء هذا العصر طريقا جديدا وهو هجاء الآخرين بنسائهم وآصبح الهجاء ضربا من ضروب اللهو والعبث إلى حد الإيغال بما يخدش الحياء، فتجاوز الهجاء في هذا العصر حدود هجاء الجاهلي.

عمد الأمويين إلى تثبيت ملكهم على حساب الكثير من مبادئ الإسلام وتعاليمه السمحاء وقد سخروا الشعراء لفن التهاجي خدمة لأغراضهم السياسية وجعلوه وسيلة دعائية لإقناع الناس بأحقية دولتهم وسلطتهم، والداعم الرئيسي المشجع والمحمس لغرض فن الهجاء هو الجمهور الذي ينتظر في المربد والكناسة.

خاتمة

خاتمة:

بعد هذا الترحال في عالم القصيدة الأموية لغرضي المدح والهجاء مع الشاعر الأموي جرير الذي شكلا علامة فارقة ومميزة توصلنا إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

_ ازدهر الشعر في العصر الأموي بسبب إجزال الأمويين العطاء للشعراء وشيوع العصبية القبلية

_ لم تنبعث النقائض من حقد دفين أو كراهية أو بغضاء بقدر ما كانت لونا جديدا حفز على المباريات الشعرية.

_ تشبث شعراء العصر الأموي منهم جريرا بالقيم الجاهلية ليسير على نهج القدماء في المدح والفخر والهجاء مع صبغة إسلامية.

_ قول جرير للشعر كان استجابة لسجيته وطبيعته فشعره خالي من التكلف وهذا ما جعل اسلوبه عذب لين لا قسوة فيه ولا جفاء وأكثر شعره في الهجاء ومن تم المدح.

_ ازدهر شعر الهجاء في العصر الأموي حتى اصبح يمثل جزءا كبيرا من التراث الشعري العربي.

_ كان لسلطة السياسة أثرا واضحا على مسيرة الشعر الأموي وتحديدا غرض المدح والهجاء فقد ساعدا على توجيه الشعراء لتحقيق رغباتها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القران الكريم برواية ورش عن نافع

_المصادر:

1- ديوان جرير، دار بيروت، ،لبنان ، د ط، 1986.

_المراجع:

1- أحمد أمين، فجر الاسلام، مؤسسة الهنداوي لتعليم و الثقافة، القاهرة، مصر، دط، دت.

2- أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، ط 2، 1954.

3- إحسان عباس، شعراء الخوارج، دار الثقافة، بيروت،لبنان، دط، دت.

4- عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان د ط، د ت، 1987

5- عبد المنعم الخفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، 1990.

6- أبوعبيدة معمر، كتاب النقائض(نقائض جرير والفرزدق)، ج 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998.11-

7- زكرياء عبد المجيد النوتي، الأدب الأموي تاريخه و قضاياه، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط 1، 1993 .

8- علي فاعور، ديوان الفرزدق، دار الكتب العامة، ط 1، 1987.

9- علي محمد الصلابي،الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، م1، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط 2، 2008.

10- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1981.

11- غازي الطليمات عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، (قضاياه، اغراضه، أعلامه، فنونه)، دار الرشاد، حمص، سوريا، ط 1، 1992.

12- سامي الدهان، المديح، دار المعارف، القاهرة، ط 5 ،د ت .

13- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط 7 ، د ت .

14- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 8، د ت .

15- صباح نوري المرزوق، الأدب الأموي، دارالرضوان، عمان، الأردن، ط 1، 2015.

16- طه حسين، حديث الأربعاء، مؤسسة الهنداوي لتعليم الثقافة، مصر، د ط، د ت.

17- مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1984.

18- محمد اسماعيل الصاوي، شرح ديوان جرير، مطبعة الصاوي، مصر، ط 1، د ت.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة..... أ- ب
_ الفصل الأول..... 4-16
1_ نشأة الدولة الأموية (41هـ- 132م)(662هـ-750م)..... 4-5
2_ الحياة الأدبية في عصر بني أمية..... 6
2_1 الإسلام..... 6
2_2 العصبية القبلية 7
2_3 اهتمام الأمراء والحكام بالأدب والأدباء..... 7
3_ الحياة السياسية في عصر بني أمية..... 8
3_1 الشيعة..... 8
3_2 الزبيريون 9
3_3 فرقة الخوارج..... 11
4 / النقائض..... 13
4_1 تعريف النقائض..... 13
4_2 نشأة النقائض..... 15
_الفصل الثاني..... 18-37
1_1 مدح الخلفاء..... 18
1_2 مدح الولاة..... 24
_هجاء..... 26
1_ هجاء الشعراء النقائض 28
2_ في هجاء المرأة..... 33

3_ هجاء قبيلة الفرزدق..... 36
خاتمة 39
قائمة المصادر والمراجع..... 41
ملخص..... 47

الملخص

الملخص:

عاد الشعر العربي في العصر الأموي إلى النظم في أغراض تقليدية لاسيما المدح والهجاء فقد شكلا طاهرة فنية مهمة في الديوان الشعري العربي، إذ شهدت قصيدة المدح والهجاء تطورا ملحوظا في هذا العصر، ومن الشعراء الذين اهتموا بذلك الشاعر جرير الذي يعد من شعراء المثلث الأموي وهو الذي شُبّه في شعره ومدائحه بالشعراء الجاهليين.

Abstract

Arab poetry in the Umayyad era returned to the systems for traditional purposes, especially praise and satire, it has formed an important artistic immaculate in the Arab poetry diwan, where the poem of praise and satire witnessed a remarkable development in this era, and from the poets who cared about it poet Greer, who is one of the poets of the Umayyad Triangle, who is likened in his poetry and praise to ignorant poets.